

التحرير والتنوير

وإضلال اﻻﻟﻤﺮء : ﺧﻠﻘﻪ ﻏﻴﺮ ﺳﺮﻳﻊ ﻟﻼﻫﺘﺪاء أو ﻏﻴﺮ ﻗﺎﺑﻞ ﻟﻪ وﺣﺮﻣﺎﻧﻪ ﻣﻦ ﺗﺪﺍﺭﻛﻪ إﻳﺎﻫ
ﺑﺎﻟﺘﻮﻓﻴﻖ ﻛﻠﻤﺎ ﺗﻮﻏﻞ ﻓﻲ ﺍﻟﺰﻻﻟﺔ ﻓﺰﻻﻟﻪ ﻣﻦ ﺧﻠﻖ اﻻﻟﻤﺮء ﻭﺗﻘﺪﻳﺮ اﻻﻟﻤﺮء ﻟﻪ ﻭﺍﻻﻟﻤﺮء ﺩﻋﺎ ﺍﻟﻨﺎﺱ ﺇﻟﻰ ﺍﻟﻬﺪﺍﻳﺔ
ﺑﻮﺍﺳﻄﺔ ﺭﺳﻠﻪ ﻭﺷﺮﺍﺋﻌﻪ ﻗﺎﻝ ﺗﻌﺎﻟﻰ (ﻭﺍﻻﻟﻤﺮء ﻳﺪﻋﻮ ﺇﻟﻰ ﺩﺍﺭ ﺍﻟﺴﻼﻡ ﻭﻳﻬﺪﻱ ﻣﻦ ﻳﺸﺎﺀ ﺇﻟﻰ ﺻﺮﺍﻁ
ﻣﺴﺘﻘﻴﻢ) ﺃﻱ ﻳﺪﻋﻮ ﻛﻞ ﻋﺎﻗﻞ ﻭﻳﻬﺪﻱ ﺑﻌﺾ ﻣﻦ ﺩﻋﺎﺋﻬﻢ .
ﻭ (ﻣﻦ) ﺷﺮﻃﻴﺔ ﻭﺍﻟﻔﺎﺀ ﻓﻲ (ﻓﻤﺎ ﻟﻪ ﻣﻦ ﻭﻟﻲ) ﺭﺍﺑﻄﺔ ﻟﻠﺠﻮﺍﺏ . ﻭﻧﻔﻲ ﺍﻟﻮﻟﻲ ﻛﻨﺎﻳﺔ ﻋﻦ ﻧﻔﻲ
ﺃﺳﺒﺎﺏ ﺍﻟﻨﺠﺎﺓ ﻋﻦ ﺍﻟﺰﻻﻟﺔ ﻭﻋﻮﺍﻗﺐ ﺍﻟﻌﻘﻮﺑﺔ ﻋﻠﻴﻬﺎ ﻟﺄﻥ ﺍﻟﻮﻟﻲ ﻣﻦ ﺧﺴﺎﺋﻤﻪ ﻧﻔﻊ ﻣﻮﻻﻫ ﺑﺎﻟﺒﺮﺍﺭﺷﺎﺩ
ﻭﺍﻟﺒﺮﺍﺗﻨﺎﻟﺶ ﻓﻨﻔﻲ ﺍﻟﻮﻟﻲ ﻳﺪﻟ ﺑﺎﻟﻠﺘﺰﺍﻡ ﻋﻠﻰ ﺍﺣﺘﻴﺎﺝ ﺇﻟﻰ ﻧﻔﻌﻪ ﻣﻮﻻﻫ ﻭﺫﻟﻚ ﻳﺴﺘﻠﺰﻡ ﺃﻥ ﻣﻮﻻﻫ ﻓﻲ
ﻋﻨﺎﺀ ﻭﻋﺬﺍﺏ ﻛﻤﺎ ﺩﻟ ﻋﻠﻴﻪ ﻗﻮﻟﻪ ﻋﻘﺒﻪ (ﻭﺗﺮﻯ ﺍﻟﻈﺎﻟﻤﻴﻦ ﻟﻤﺎ ﺭﺍﻭﺍ ﺍﻟﻌﺬﺍﺏ) ﺍﻻﻳﺔ . ﻓﻬﺬﻩ
ﻛﻨﺎﻳﺔ ﺗﻠﻮﻳﺤﻴﺔ ﻭﻗﺪ ﺟﺎﺀ ﺻﺮﻳﺢ ﻫﺬﺍ ﺍﻟﻤﻌﻨﻰ ﻓﻲ ﻗﻮﻟﻪ (ﻭﻣﻦ ﻳﺰﻟﻞ اﻻﻟﻤﺮء ﻓﻤﺎ ﻟﻪ ﻣﻦ ﻫﺎﺩ) ﻓﻲ ﺳﻮﺭﺓ
ﺍﻟﺰﻣﺮ ﻭﻗﻮﻟﻪ (ﻭﻣﻦ ﻳﺰﻟﻞ اﻻﻟﻤﺮء ﻓﻤﺎ ﻟﻪ ﻣﻦ ﺳﺒﻴﻞ) ﺍﻻﺗﻲ ﻓﻲ ﻫﺬﻩ ﺍﻟﺴﻮﺭﺓ .
ﻭﺿﻤﻴﺮ (ﺑﻌﺪﻩ) ﺭﺍﺟﻊ ﺇﻟﻰ ﺍﺳﻢ ﺍﻟﺠﻼﻟﺔ ﺃﻱ ﻣﻦ ﺑﻌﺪ اﻻﻟﻤﺮء ﻛﻘﻮﻟﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ (ﻓﻤﻦ ﻳﻬﺪﻱ ﻣﻦ ﺑﻌﺪ
ﺍﻻﻟﻤﺮء ﺃﻓﻼ ﺗﺬﻛﺮﻭﻥ) ﻓﻲ ﺳﻮﺭﺓ ﺍﻟﺠﺎﺋﺌﺔ .
ﻭﻣﻌﻨﻰ (ﺑﻌﺪ) ﻫﻨﺎ ﻣﻌﻨﻰ (ﺩﻭﻥ) أو (ﻏﻴﺮ) ﺍﺳﺘﻌﻴﺮ ﻟﻔﺰ (ﺑﻌﺪ) ﻟﻤﻌﻨﻰ (ﺩﻭﻥ) ﻟﺄﻥ (ﺑﻌﺪ)
ﻣﻮﺿﻮﻉ ﻟﻤﻦ ﻳﺨﻠﻒ ﻏﺎﺋﺒﺎ ﻓﻲ ﻣﻜﺎﻧﻪ أو ﻓﻲ ﻋﻤﻠﻪ ﻓﺸﺒﻪ ﺗﺮﻙ اﻻﻟﻤﺮء ﺍﻟﺰﻻﻟﺔ ﻓﻲ ﺯﻻﻟﻪ ﺑﻐﻴﺒﺔ
ﺍﻟﻮﻟﻲ ﺍﻟﺬﻱ ﻳﺘﺮﻙ ﻣﻮﻻﻫ ﺩﻭﻥ ﻭﺻﻲ ﻭﻻ ﻭﻛﻴﻞ ﻟﻤﻮﻻﻫ ﻭﺗﻘﺪﻡ ﻓﻲ ﻗﻮﻟﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ (ﻓﺒﺂﻱ ﺣﺪﻳﺚ ﺑﻌﺪﻩ
ﻳﺆﻣﻨﻮﻥ) ﻓﻲ ﺳﻮﺭﺓ ﺍﻟﺄﻋﺮﺍﻑ ﻭﻗﻮﻟﻪ (ﻓﻤﺎﺫﺍ ﺑﻌﺪ ﺍﻟﺤﻖ ﺇﻻ ﺍﻟﺰﻻﻟﺔ) ﻓﻲ ﺳﻮﺭﺓ ﻳﻮﻧﺲ .
ﻭ (ﻣﻦ) ﺯﺍﺋﺪﺓ ﻟﻠﺘﻮﻛﻴﺪ . ﻭﻣﻦ ﻣﻮﺍﻭﻉ ﺯﻳﺎﺩﺗﻬﺎ ﺃﻥ ﺗﺰﺍﺩ ﻗﺒﻞ ﺍﻟﻈﺮﻭﻑ ﻏﻴﺮ ﺍﻟﻤﺘﺼﺮﻓﺔ ﻗﺎﻝ
ﺍﻟﺤﺮﻳﺮﻱ " ﻭﻣﺎ ﻣﻨﺼﻮﺏ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﻈﺮﻑ ﻻ ﻳﺨﻔﺰﻩ ﺳﻮﻱ ﺣﺮﻑ " .
(ﻭﺗﺮﻯ ﺍﻟﻈﺎﻟﻤﻴﻦ ﻟﻤﺎ ﺭﺍﻭﺍ ﺍﻟﻌﺬﺍﺏ ﻳﻘﻮﻟﻮﻥ ﻫﻞ ﺇﻟﻰ ﻣﺮﺩ ﻣﻦ ﺳﺒﻴﻞ [44]) ﻋﻄﻒ ﻋﻠﻰ ﺟﻤﻠﺔ (ﻭﻣﻦ
ﻳﺰﻟﻞ اﻻﻟﻤﺮء ﻓﻤﺎ ﻟﻪ ﻣﻦ ﻭﻟﻲ ﻣﻦ ﺑﻌﺪﻩ) ﻭﻫﺬﺍ ﺗﻔﺼﻴﻞ ﻭﺑﻴﺎﻥ ﻟﻤﺎ ﺃﺟﻤﻞ ﻓﻲ ﺍﻻﻳﺘﻴﻦ ﺍﻟﻤﻌﻄﻮﻑ
ﻋﻠﻴﻬﻤﺎ ﻭﻫﻤﺎ ﻗﻮﻟﻪ (ﻭﻳﻌﻠﻢ ﺍﻟﺬﻳﻦ ﻳﺠﺎﺩﻟﻮﻥ ﻓﻲ ﺁﻳﺎﺗﻨﺎ ﻣﺎ ﻟﻬﻢ ﻣﻦ ﻣﺤﻴﻲ) ﻭﻗﻮﻟﻪ (ﻭﻣﻦ ﻳﺰﻟﻞ
ﺍﻻﻟﻤﺮء ﻓﻤﺎ ﻟﻪ ﻣﻦ ﻭﻟﻲ ﻣﻦ ﺑﻌﺪﻩ) .
ﻭﺍﻟﻤﻌﻨﻰ : ﺃﻧﻬﻢ ﻻ ﻳﺠﺪﻭﻥ ﻣﺤﻴﻮﺍ ﻭﻻ ﻭﻟﻴﺎ ﻓﻼ ﻳﺠﺪﻭﻥ ﺇﻻ ﺍﻟﻨﺪﺍﻣﺔ ﻋﻠﻰ ﻣﺎ ﻓﺎﺕ ﻓﻴﻘﻮﻟﻮﺍ (ﻫﻞ
ﺇﻟﻰ ﻣﺮﺩ ﻣﻦ ﺳﺒﻴﻞ) .
ﻭﺍﻟﺴﺘﻔﻬﺎﻡ ﻳﺤﺮﻑ (ﻫﻞ) ﻳﻨﻜﺎﺭﻱ ﻓﻲ ﻣﻌﻨﻰ ﺍﻟﻨﻔﻲ ﻓﻠﺰﻟﻚ ﺃﺩﺧﻠﺖ (ﻣﻦ) ﺍﻟﺰﺍﺋﺪﺓ ﻋﻠﻰ (ﺳﺒﻴﻞ)
ﻟﺄﻧﻪ ﻧﻜﺮﺓ ﻓﻲ ﺳﻴﺎﻕ ﺍﻟﻨﻔﻲ .
ﻭﺍﻟﻤﺮﺩ : ﻣﺼﺪﺭ ﻣﻴﻤﻲ ﻟﻠﺮﺩ ﻭﺍﻟﻤﺮﺍﺩ ﺑﺎﻟﺮﺩ : ﺍﻟﺮﺟﻮﻉ ﻳﻘﺎﻝ : ﺭﺩﻩ ﺇﺫﺍ ﺃﺭﺟﻌﻪ .

ويجوز أن يكون (مرد) بمعنى الدفع أي هل إلى رد العذاب عنا الذي يبدو لنا سبيل حتى لا نقع فيه فهو في معنى (إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع) في سورة الطور .
والخطاب في (ترى) لغير معين أي تناهت حالهم في الظهور فلا يختص به مخاطب أو الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم تسلياً له على ما لاقاه منهم من التكذيب .
والمقصود : الإخبار بحالهم أولاً والتعجب منه ثانياً فلم يقل : والظالمون لما رأوا العذاب يقولون وإنما قيل (وترى الظالمين) للاعتبار بحالهم .
ومجيء فعل (رأوا العذاب) بصيغة الماضي للتنبيه على تحقيق وقوعه فالمضي مستعار للاستقبال تشبيهاً للمستقبل بالماضي في التحقق والقرينة فعل (ترى) الذي هو مستقبل إذ ليست الرؤية المذكورة بحاصلة في الحال فكأنه قيل : لما يرون العذاب .
وجملة (يقولون) حال من (الظالمين) أي تراهم قائلين فالرؤية مقيدة بكونها في حال قولهم ذلك أي في حال سماع الرائي قولهم .
(و تراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي) أعيد فعل (ترى) للاهتمام بهذه الرؤية وتهويلها كما أعيد فعل (تلاقوا) في قول وداك بن ثميل المازني : .
رويدا بني شيبان بعض وعيدكم ... تلاقوا غدا خيلي على سفوان .
تلاقوا جياداً لا تحيد عن الوعى ... إذا ظهرت في المأزق المتداني والعرض : أصله إظهار الشيء وإراءته للغير ولذلك كان قول العرب : عرضت البعير على الحوض معدوداً عند علماء اللغة وعلماء المعاني من قبيل القلب في التركيب ثم تتفرع عليه إطلاقات عديدة متقاربة دقيقة تحتاج إلى تدقيق .